The character: her representations and dimensions in the novel The Road to Belharith

Dr. Ahmad Albzour*

(Received 26 / 4 / 2020. Accepted 21 / 6 / 2020)

□ ABSTRACT □

The character is the mainstay of the narrative text and a mainstay of its mainstay, as it contributes to shaping the vision and clarifying ideas, as it is indispensable, as it is impossible to find a novel without personality, so the focus of the research revolves on this subject, trying to study the structure of the character and its representations in the novel The Road to Balharith by the novelist jamal Naji, by presenting its material, social and psychological dimensions, and accordingly the research relied on the descriptive and analytical method in exploring the character and the way it is presented in the novel.

Keywords: Personal, The novel, The narrator, The main character, secondary, Margin.

***Part –time Lecturer, Department of Service Courses, College of Arts and Humanities, Zarga Private University, Zarqa. Jordan.**

الشّخصيّة: تمثّلاتها وأبعادها في رواية الطّريق إلى بلحارث

د. أحمد محمد البزور*

(تاريخ الإيداع 26 / 4 / 2020. قبل للنشر في 21 / 6 / 2020)

□ ملخّص □

تعدّ الشّخصيّة عِماد النّصّ الرّوائي، ودِعامة من دعائمه الأساسيّة، كونها تُسهم في تشكيلِ الرّؤية وتوضيح الأفكار، كما لا يمكن الاستغناء عنها؛ إذ يستحيل وجود رواية من دون شخصيّة؛ لذا يدور محور البحث على هذا الموضوع، محاولاً بذلك دراسة بنية الشّخصيّة وتمثلاتها في رواية "الطريق إلى بلحارث" للرّوائي جمال ناجي، من خلال عرض أبعادها الماديّة والاجتماعيّة والنّفسيّة، وبناءً على ذلك اعتمد البحث على المنهج الوصفيّ التّحليليّ، في استظهار الشّخصيّة، وطريقة عرضها في الرّواية.

الكلمات المفتاحية: الشّخصيّة، الرواية، الرّاوي، الشخصية الرئيسة، الثانوية، الهامش.

* **محاضر غير متفرّغ في قسم المساقات الخدمية، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة الزرقاء الخاصة، الزرقاء، الأردن.**
البريد الإلكتروني: albzoor_ahmad@yahoo.com

مقدمـــــــة.

تعد الشّخصيّة من أهمّ العناصر السّرديّة؛ لِما لها من دورٍ في تفعيل الأحداث، فهي أيقونةُ العمل السّردي، ومحرّكه الرّئيس، ومن خلالها تتسلسل الأحداث، وتتطور، لتصل إلى ذروةِ التّأزم والنّهاية، لكن في المقابل، لا بدّ لنا من التنويه، إلى أنّ العناصر السّردية الأخرى، من حوار، ومكان، وزمان، وغيرها لا تقلّ أهمية عن الشّخصية، إذ إنّ علاقة الشخصيّة بها تتم بصورةٍ تواشج مشكّلة في البناء الرّوائيّ الفنّي.

ومن هذا المطلق، ولأغراض منهجيّة، اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى عناوين فرعية، وهو ما يمكن تمثيله على النحو الآتي:

دواعي اختيار الموضوع:

إنّ اختيارنا لموضوع الشّخصيّة في الرّواية، يعود إلى وفرة المراجع والدّراسات التي تناولته، إضافة إلى قيمةِ رواية "الطريق إلى بلحارث" الفنّية، وبوصفها باكورة جمال ناجي السّردية، الصادرة عام ألف وتسعمائة واثنين وثمانين.

أهمية البحث وأهدافه

أهمية البحث:

وتبدو أهمية هذا البحث، في أنّه يمكن أن يلقي الأضواء على طبيعة الشخصية في الرواية الأردنية، كما يمكن فتح ملف الحوار على خصوصية الرواية الأردنية.

هدف البحث:

إنّ هدف هذا البحث، تجلية الشخصية، واستظهار أشكالها في رواية الطريق إلى بلحارث؛ لبيان أبعادها الجمالية والفنية، والكشف عن الدلالات التي تمخضت عنها.

الدراسات السابقة:

قد تناول هذه الرّواية دارسون، نذكر دارسين اثنين على سبيل المثال لا الحصر:

1- إبراهيم سعفان في دراسته الموسومة بـ "البطل الإشكاليّ في الطّريق إلى بلحارث" **(انظر، مجلة المنتدى، ع1، آب . 1983، ص 62)**.

2- إبراهيم خليل في دراسته "قراءة نقديّة لرواية الطّريق إلى بلحارث" **(انظر، جريدة الدّستور الأردنية، 15 حزيران . 2018)**.

بالإضافة إلى ما سبق، لا أجد مناصًا بالاعترافِ، بأنّ موضوع الشّخصية، هو حصيلة بحوث ودراسات سابقة، ومن هذه الدّراسات والتي بمكن إجمالها على النحو الآتي:

1- "سميولوجية الشّخصيات الرّوائية" **(فليب هامون، تر. سعيد بنكراد، 1990)**.

2- "مقاربات سيميائيّة لشخصية المدينة" **(طارق ثابت، 1990)**.

3- "شخصيات النّصّ السّردي"**(سعيد بنكراد، 1994)**.

4- "الشّخصيّة الرّوائية" **(نادر أحمد، 2009)**.

5- "سيميائية الشّخصية في تغريبة بني هلالة" **(أمينة فزاري، 2012)**.

6- "بناء الشّخصيّة في رواية نجلة أغسطس لصنع الله إبراهيم" **(مجموعة باحثين، 2014، ص 51 . 68)**.

7- "بنية الشّخصية في الروايةِ الجزائرية" **(صبرينة زبابجة، 2014)**. وغيرها من الدّراسات، مما لا يتسع المجال الآن بطبيعة الحال لذكرها.

منهج البحث:

نظرًا لكثرةِ الدّراسات الّتي سبق أن خصصت لهذا الموضوع، إلاّ أنّ رواية (الطريق إلى بلحارث) لم تحظ بجديةِ الدّرس والبحث والتّطبيق من هذا الجانب، من هنا كان لا بدّ لنا في هذا البحث من اتّباع المنهج الوصفي، القائم على التّحليل والإحصاء.

الرّوايـــــة والشخصيّة: (تأطير نظري).

استطاعتْ الرّواية أن تستوعبَ مشكلات الحياة، وهموم الإنسان، وعذاباته، حتّى صارتْ انعكاسًا للواقعِ، الذي يرزح فيه الإنسان تحت نير الألم، والبؤس، والحرمان، وأن تستوعب كثيرًا من القضايا الثقافيّة، سواء على الصّعيدِ الاجتماعيّ أم السّياسيّ؛ لذا فإنّ دراسة الشّخصيّة الرّوائيّة هي الوسيلة الوحيدة للوقوفِ على تفاصيلِ المُعاناة الإنسانيّة.

وقد كان اختياري للرّوائيّ جمال ناجي، على أساس أنّ كتاباته تتميّز بطابعِ المأساة؛ إذ يجعلها قريبة من قضايا الإنسان المعاصر وانشغالاته الفكريّة، وهذا ما تجسّد في رواية "الطريق إلى بلحارث"، والسّؤال الذي لا بد من الإجابة عنه في هذا المقال: ما مفهوم الشّخصيّة، وكيف تمثّلتْ في الرّواية؟

إنّ الشخصيّة هي النّظامُ العقليّ الكامل للإنسان عند مرحلة معينة من مراحل نموه، وتتضمن كلّ ناحية من النّواحي النّفسية، والعقليّة، والمزاجية، وهي شكلٌ من أشكالِ السّلوك، تصدر عن الفرد، وتميّزه من أبناء مجتمعه **(انظر، نوري الحافظ، 1961، ص 16 .20)**، كما أنّها تُمثّل "مجمل السّمات التي تشكّل طبيعة شخص أو كائن حي، وهي تُشير إلى الصّفات الخَلقية، والمعايير، والمبادئ الأخلاقية"**(صبيحة عودة زغرب، 2005، 117)**.

وتعدّ الشّخصية العمود الفقري للعملِ السّردي، سواء أكان العمل قصّة أم رواية، وهي المشجب التي تعلّق عليه كلّ تفاصيل العناصر الأخرى **(انظر، ماهر شعبان، 2011، ص 172)**، وإذا ما رجعنا إلى أصلِ الكلمة، فسنجدها مشتقّة من الأصلِ اللاتيني "persona"، وهي "تعني القناع، الذي كان يلبسه الممثل، حيث يقوم بتمثيلِ دور أو بالظّهور بمظهر مُعيّن أمام النّاس، وبذلك أصبحت الكلمة تدلّ على المظهر الذي يظهر به الشّخص" **(سعد رياض، 2005، 11)**، والشّخصيّة هي الفرد الذي تدور حوله أحداث القصّة أو الرّواية، ولعلّ هذا ما دفع بالدارسين إلى القول إنّ الشّخصيّة هي مدارُ الحدثِ في الرّواية **(انظر، محمد علي سلامة، 2007، 11)**.

ومهما يكن من أمر فإنّ الشّخصية "المحور العام الرئيسي، الذي يتكفّل بإبراز الحدث، وعليها يكون العبء الأوّل في الإقناع بمدى أهميّة القضية المثارة في القصّة وقيمتها" **(نادر أحمد عبد الخالق، ص 40)**، وينبغي أنْ أُشير هنا، إلى أنّ الشخصيّة الرّوائية هي شخصيّة خيالية في الأصلِ، مُصطنعة، تُجسّد بدورها الشّخصية الحقيقية في الواقعِ، وتعبّر عنها، إضافة إلى ما سبق، "تحتل الشّخصيّة مركزًا مرموقًا في الرّواية، إذ تمتد منها وإليها جميع العناصر الفنية، وتعدّ بمنزلة العمود الفقري" **(مجموعة باحثين، مرجع سابق، ص 52)**.

(ملخص الرّوايـــة).

تقع رواية "**الطريق إلى بلحارث**"، في مئةٍ وثلاث وستين صفحة، من الحجم المتوسط، تناولتْ مشكلة عدد من المدّرسين، الذين يرزحون في أوطانهم، تحت وطأة الفقر والجوع، مما اضطرّهم إلى الاغتراب، من عمّان؛ بحثًا عن

فرص عيشٍ أفضل، إلى قرية بلحارث في أسفلِ جبال عسير، وهي قرية نائية، تفتقد أدنى مقوّمات العيش، ورغبة في تحسين أوضاعهم المعيشية، وهي تواجه عبر فضاء الصّحراء القاسية، مُشخصّة بذلك طبيعة تفاعلها مع مظاهر تلك القسوة والمعاناة، التي تقاسمها المدرسون وأهالي تلك القرية، كما جاءتْ شخصيّات الرّواية الرّئيسة مُعبّرة عن تلك الحقيقة، بوعي واقعي حقيقي ومستوى فنّي ممتاز عن أزمة المثقف العربي؛ إذ استطاع جمال ناجي أن يسقطها على شخصياته، عبر المزاوجة الفنيّة بين مُعاناة المدرسين وأهل القرية، التي أخذتْ بالتّقارب. وإنّ الذي يلفت النّظر ويسترعي الانتباه في روايةِ الطريق إلى بلحارث هو الرّاوي، إذ يكاد (عماد) أن يكون الشخصيّة الرئيسة الموجودة طوال الرّواية، خلافًا لما هو الأمر بالنّسبة إلى الشخصيّات الأخرى، ليغدو مُشاركًا في أحداث الرواية، وعليمًا بشخصياتها، كما لو أنّ الرّواية ترجمة لسيرة غيرية.

(شخصيات الرّوايـــــة).

(عماد ونادية)، في الرّابعة والعشرين، وهما خرّيجا اللغةِ الإنجليزية، من معهد المُعلمين، ويعيشان في أحد مخيمات اللاجئين الفلسطينيين بعمّان، وكلّ منهما يحبّ الآخر، وينتظرانِ الفرصة المناسبة للزّواج، و(علي سليمان) مُدرّس الرّياضيات، و(عزيزة) زوجته، وهي كذلك مُعلّمة، حامل في شهرها التاسع، وتنتظر مولودًا، والطّفل (فجر) الذي أنجبته لم يعش سوى يوم واحد، و(منصور) شقيق (نادية)، وهو كذلك صديق (عماد) منذُ أيام المعهد، وقد سافر قبله بأسبوع، حيث التقيا في مقهى الجوزين بجدّة. ومن هذه الشّخصيّات (أمّ عماد) التي تكفّلت بإعالة أسرتها بعد وفاة زوجها في حربِ حزيران، و(أبو عايظ)، وهو سعودي، يعمل فرّاشًا ومراسلاً في المدرسة، و(معيظ) مدير المدرسة، وهو كذلك سعودي، و(ظفرة) امرأة . راقصة . وهي من أصول إفريقية، سوداء البشرة، وتدير مقهى، وذات بنية جسديّة لا تخلو من فتنة وإثارة حسبما يرى (أبو عايظ ومنصور)، وكلّ منهما يطمع بقضاءِ سهرة معها، و(بوحربان) شيخ القرية، يقتصر حضوره في الرّوايةِ في حفلةِ زواج ابنه، وساعي البريد وصاحب البيت الذي استأجره (منصور، وعماد) في قرية بلحارث، وينسحب هذا على (بعرة) صاحبة المقهى، والأمر نفسه بالنّسبة إلى الممرض الباكستاني الذي يؤدي دورًا طارئًا في الرّواية، وفق هذا الوصف تمثّلتْ الشّخصيّة عبر أربعة أبعاد: البعد المادي، البعد الاجتماعيّ، البعد النفسيّ، البعد الأيديولوجيّ.

البعد الماديّ.

هو ما يُمكن أن نُطلق عليه بالبعد الخارجي، وهذا ما يسمّى بالدّراسةِ الفيزيولوجية، وهي دراسة كلّ "ما يتعلق بالملامح الجسديّة للشخصّية، كالطول، والوزن، والجنس، ولون البشرة" **(عبد القادر أبو شريفة، 2000، ص24)**، ويظهر هذا البُعد واضحًا في استهلالِ الرّواية التي ابتدأت من حيثُ انتهت، من خلال حمل المدرسين جثّة (منصور)، ووضعها في طائرة الهليكوبتر، والتوجه بها إلى عمّان، وسعيهم إلى تبريدها؛ كي لا تتعفّن. ويتمثّل هذا البعد بالملامحِ الخاصّة والعامة للشخصيّة، على نحو ما يتمثل في قولِ (عماد) بوصفه راويًا عليمًا ومشاركًا، بأنّ "العرق يسحّ على جباه المدرسين الأربعة، لا يتحدثون، ألوانهم تزداد شحوبًا كلّما اقتربوا من بلحارث، وألواح الثلج تقطر على قمصانهم المغبرة، فترسم عليها أشكالاً كامدة" **(لطريق إلى بلحارث، ص 7)**.

وانطلاقًا من هذا التصور، كشف لنا الوصف أنّ الشخصيات المتمثلة بالمدرسين، ترزح تحت نير البؤس والمعاناة، في ظلّ واقع متخم بالمأساةِ والشقاء، كما أنّها تتحدث عن الحالةِ التعبيريّة للإنسانِ، وعن مآسيه، وعن التشرد، والفقر. ويظهر هذا البعد أيضًا من خلال وصف (عماد) لـ (نادية)، حين طلبتْ منه أمّه أن يحدثها عن أوصافها، في الحوار

الذي دار بينهما، قائلا: "بشرتها زهريّة فاتحة، طويلة، نحيلة شعرها أسود"(**الرواية**، ص 14)، ونُلاحظ هذا البعد في وصف (عماد)، حينما خرج من مطار جدّة؛ بحثًا عن مأوى، يلمّ شتاته، وقد اهتدى إلى فندق رطب رخيص؛ إذ يصف موظف الفندق الذي يجلس خلف طاولة صغيرة في أنّه "شابٌ، أسمر البشرة، يرتدي ثوبًا أبيض، وغترة بيضاء نظيفة، من دون عقال" (**الرواية**، ص 16)، كذلك يتضحّ هذا البعد في نزيل غرفة (24) وهو رجلٌ مترهّل، يتقعّر فوق سرير صدئ (**الرواية**، 19)، وأمّا (منصور) فعيناه عسليتان، شعره أسود مسترسل، قامته نحيلة مستقيمة، وحواجبه الكثة، وشعر يكسو ذراعيه العاريتين، وصدر ينفي وجود أي صفة تقربه من الأنثى (**الرواية، ص 23**).

نُلاحظ أنّ الرّاوي يُعطي القارئ معلومات وتفاصيل دقيقة عن الشّخصيّة، وبما أنّ (عماد) شخصيّة راوية وبالأحرى ساردة ومُشاركة في الرّوايةِ، بإمكاننا أن نتعرّف على أبعادها الماديّة، وملامحها الخارجيّة، التي تجسّدتْ في الرّواية من خلال الجسدِ الضّئيل والقامة القصيرة (**الرواية**، ص 24)، و(ظفرة) بناءً على وصفِ (منصور) لها، فإنّها "سوداء، فاحمة البشرة، ولها قامةٌ رشيقة، وحين تمشي تتحرّك مُؤخرتها المشدودة بالوزرة". (**الرواية**، ص 44 . 46).

وبناءً على ملامح الشّخصيّة الخارجيّة، تمثل شخصيّة (بوعايظ) نموذجًا للبعدِ المادي، فهو "رجل نحيل، قصير القامة، يلبس ثوبًا أبيض، وبيده سبحة طويلة" (**الرواية**، ص 69)، كذلك تَمثّل هذا البُعد بشكل جلي في شخصيّة ساعي البريد و(بعرة)، إذ إنّ ملامح ساعي البريد على ما يبدو في الرّواية تظهر في أنّه "أسمر، يحملُ الفرح، طويل كالأيامِ السّبعة التي يغيبها، وضاحك كخريرِ الماءِ في وادي بلحارث" (**الرواية**، ص 71)، أمّا (بعرة)، فهي شخصيّة "أطلق عليها أهالي القرية هذا الاسم؛ لأنّها قصيرة، سمينة، عرجاء، امرأة في الخمسينِ، سوداء البشرة، بيضاء الشّعر، محدودبة الظّهر، عجزها دائم البروز" (**الرواية**، ص 73 . 74)، أمّا الممرض الباكستاني الذي يصعب أن يفرّق المرء بينه وبين أهل القرية حسبما يرى (عماد)، "فهو أسمر نحيل، يلبس دشداشة بيضاء، ويضع على رأسه كوفية بدون عقال" (**الرواية، ص 132**).

البعد الاجتماعـــيّ.

إنّ الطبقةَ التي تنتمي إليها الشّخصيّة ومستواها الاجتماعيّ، هي التي تُميّزها من غيرها، فضلاً عن ذلك يتحددُ البعد الاجتماعيّ، بالظّروف الاجتماعيّة المُحيطة بالشّخصية وعلاقتها بالآخرين، معنى ذلك أنّ البُعد الاجتماعي يُمكن تحديده بـ"المواصفات الاجتماعيّة، التي تتعلق بمعلومات حول وضع الشخصيّة الاجتماعي" (**محمد بوعزة، 2010، ص 40**)، وبإمكاننا التمثيل على هذا البُعد في رواية الطّريق إلى بلحارث من خلالِ تحديد الوضعيّة الاجتماعيّة للشّخصيات، التي تُحيل على الحالةِ الاجتماعيّة التي يعيشها اللاجئ المثقف الفلسطيني، المشّرد، الرّزاح تحت وطأة البؤس، والفقر، والشقاء، ويظهر لنا هذا البُعد في شخصيتي (عماد ومنصور وعلي) مع أنّهم متعلمون ومثقفون.

الأمر نفسه يُمكن ملاحظته في شخصيّةِ (بوعايظ) وأهالي القرية، ولكن على نحوٍ مُختلف تمامًا؛ إذ كشفتْ الشخصيّة عن مُستواهم الطّبقي والاجتماعيّ المُتدني، ذلك الإنسان الذي يعيش فيه على الهامش، في الوقتِ الّذي يرفل فيه شيوخ السّلطة بـ خيرات القرية، والمُلاحظ أنّ وضع (معيظ والشيخ بوحربان) الاجتماعي زاد في هذا الهامش، كونهما يمتلكان مقومات السلطة كافة، من حيثُ المال والجاه والمنصب، ليس هذا وحسب، بل كشفت شخصيات قرية بلحارث الأصليون عن مستواهم الثقافي المُنحط؛ لتعكس لنا الحالة الخاصّة لأهالي القرية التي ظلت مرتبطة بالثقافة الرّجعيّة المتخلفة، وعلى هذا الأساس نتبيّن أنّ ثنائية الهامش والمركز . السادة والعبيد قد مارستْ بعضَ سطوتها على عقليّة أهل القرية، واستمرار حضورها، بوصفها قدرًا لا يستطيع أهالي القرية الفكاك منها.

البعد النّفســيّ.

يتجسّد البُعد النّفسي فيما يظهر على الشّخصية، من انفعالات، ومشاعر، وعواطف كالحزنِ، والفرح، والغضب، كما يتجسّد في حديثِ الشّخصيّة مع نفسها، وهذا من شأنه أن يخلق ما يسمّى بالحوار الدّاخليّ، وبشكلٍ أدق، المناجاة الذّاتية؛ إذ يمكن من خلاله الكشف عن رأي الشّخصيّة بـ فكرة ما تطرحه الرّواية أو موضوعها، ويمكن التمثيل لذلك قول عماد بعدما تخرّج من معهد المعلمين، وقد صار أستاذا "قدّ الدنيا"، مثلما قالت أمّـه، و"المعلّم الكبير" على رأي نادية: "السّفر.. شيء رائع، فكرة مذهلة، وهذه المدينة بداية شاسعة لآمال أرقتني سنين طويلة، غربة قارسة تمتصني وأستجيب لها، مدينة جدّة، هي الجدّة الثرية التي لا تنفك توزّع ثروتها، لن يسبق من الأبناء والأحفاد، وأنا الحفيد الصميم" **(الرواية، ص 8)**.

نستخلصُ من ذلك، أنّ شخصيّة (عماد) تنظر إلى الاغتراب على أنّه خلاص من البؤس، والفقر، والحرمان، والسّفر كلمة عميقة الدّلالة، ثرية الإيحاء، فيها شيءٌ من حركة التّعويض النّفسي، وتدل دلالة واضحة على رفض الشخصيّة لواقعها الخائب، نازعة نحو إثبات ذاتها، ويُمكننا من خلال البعد النّفسي سبر ما وراء الشخصية الظاهر، من رؤى وأفكار، ونعطي مثالاً على ذلك قول (عماد): "السّفر هو القرارُ الوحيد الذي امتلكت القدرة على تنفيذه، كان السّفر مأساتي، أفكّر فيه كيفما شئت، أتخيله رحلة إلى أمصار بعيدة وجزر في بحار منسية، سكنني جنون السفر، صنعتُ للفكرة أجنحة، وسفنا ورقية كتلك التي كنّا نصنعها في الشتاء لتطفو على سيل المخيم" **(الرواية، ص 8 .9)**.

يتضح من خلال الكلام، انشداد الشّخصية إلى هاجس الحرّية، والتحرر، والتطلع إلى الانعتاق، ليغدو المكان المتمثل بـ "المخيم" حيزًا مغلقًا يُصادر حرية الشخصية، وعماد وإن أحسّ بقوة ارتباطه بالمكان فإنّه في الوقت ذاته يحسّ بالنفور منه، إذ إنّ شعوره بالاغتراب هو الذي دفعه إلى السّفر. فلو حاولنا أن نغور في أعماق شخصية عماد متلبسين حالته النفسيّة، لخرجنا بنتيجة مفادها شعوره بالاستلاب، والفقد، والخوف، والقلق، ولا أدلّ على ذلك من قول (منصور) لـ (عماد) في سيارة الجيب، وقد بدا صوته مكتومًا: "بقي من الطريق اثنتا عشرة ساعة إذا لم يخطئ السّائق دليله في هذا الليل" **(الرواية، ص 29)**.

من هنا نستنتج، أنّ **(منصورًا)** يبني جملته السّابقة على أساس الشّرط، الذي أدى بعماد إلى تساؤلات وحيرة قاتلة في نفسه، ما جعلهُ يتساءل بينه وبين نفسه "ما الذي عناهُ (منصور) حينما قال: إذا لم يخطئ السائق دليله في هذا" **(الرواية**، ص 30)، والتّساؤل هنا، شكّل قلقًا معرفيًا في حدّ ذاته، مما يشي بإحساس الشخصية (عماد) بالخوف، في المقابل نرى شخصيّة (منصور) قوية، وغير خائفة فيما يحدث وسيحدث، ويتجلّى ذلك من خلال قوله وهو يطمئن (عمادًا)، قائلاً: "لا تقلق، هناك دليل يعرفه السّائق، ويهتدي به، إنّه النجم" **(الرواية**، ص 31)، من هنا، نتبين أنّ (عمادًا) يعيش اغترابًا نفسيًا وروحيًا، ويرى في أي شيءٍ شرًا، وعدوًا، يتربّصه، ويريد إلحاق الأذى به.

والذي نريد أن نخلص إليه، هو أنّ (عماد) شخصية منطوية على نفسها، إذ إنّ الشّخص المنطوي دائم التفكير في نفسه، يخضع سلوكه بمبادئ مطلقة وقوانين صارمة، من دون مراعاة للظروف، بلا مرونة وتنقصه المقدرة على التكيف السّريع، كما أنّه كثير الشّك في نيّات النّاس ودوافعهم، بحيث يحقق التوافق عن طريق الخيال والوهم، علاوة على أنّه مُسرف في ملاحظاته **(انظر، محمد حسن غانم، 2006، ص 21)**. تظلّ صورة الخوف هي المُسيطرة على (عماد) في بلاد الغربة، وإنّ القلق المشار إليه هنا أوضح من أن يُشار إليه، حيثُ يغدو التخيّل والحديث الدّاخلي عند (عماد) مجرّد إشارة نفسية، تُحيل إلى القلق والخوف، فيما لو كشف (منصور) علاقته مع (نادية)، وهو ما يؤشّر أيضًا

إلى وقوع تلك الشخصية تحت فريسة للمخاوف، أو ما يُسمّى بـ "الوسواس القهري"، الآخذ بالتّفاقم والتّقادم، إذ يقول: "منصور! آه لو تعلم، والوقت لم يحن بعد، لكني سأخبرك يومًا ما بكلّ شيء، ماذا لو رأيت في جيبي صورة نادية أو إحدى رسائلها؟ ماذا ستفعل؟ لكننا هنا متوحدان في صحراء لا ترحم. لكن المسألة أخطر مما أتخيل، قد يغضب، وقد يبصق بوجهي، وقد يبعث رسالة إلى نادية يقصم فيها ظهرها، ونادية كيف ستتلقى النبأ لو عرف منصور؟ ما موقفها الآن بعد أن تركتها وسافرت؟ أما زالت كعهدها؟ نادية تختلف، نادية لا تشبهها أية فتاة، لكنها رفضت فكرة السفر!" **(الرواية، ص 34)**.

وعلى هذا الأساس، تغدو (نادية) بالنّسبة لـ (عماد) امتلاكًا يمنحه الدفء والأمان، لكن هذا الامتلاك في الحقيقة ليس له وجود في الواقع، ولا يبدو حاضرًا ومتحققًا في واقع الشخصيّة، إذ إنّ الأمر لا يعدو بأكثر من هواجس وأحلام، حيثُ يقول بينه وبين نفسه: "نادية قبّليني، دعيني أتوحّد في خاصرتك، وصدرتك" **(الرواية**، 81)، ومن هنا تبدو شخصيّة عماد مهزومة وهشّة وضعيفة، لا تمتلك سوى أحلامها وتخيلاتها التي تتمظهر في صورتها الجنسيّة، فاستدعاء التمثيل الجسدي والملامح الجنسية، تعبير قوي عن الحالة النّفسيّة القلقة، التي تعيشها الشخصيّة.

وعلى ضوء البعد النّفسي، أمكننا الكشف عن مكنونات الشّخصيّة من الداخل، وإبراز مشاعرها وعواطفها، ويتمثل البعد النفسي في شخصية (علي) عندما وضعت زوجته مولودًا، ويبدو أنّه لم يكن فرحًا بقدومه، وقد كانت ابتسامته ممزوجة بأحزان عميقة، وعندما قال له (منصور) مستفهمًا عن حالة المولود ذكرًا كان أم أنثى من دون أن يسأل عن وضع زوجته الحرج أو يتطرق السّؤال عن حالتها المجهدة والمتعبة، "انفلق فمه عن ضحكة عالية، واستمر ضاحكًا، والعرق ينقط من أسفل ذقنه" **(الرواية، ص 51)**.

كشفتْ شخصية (منصور) عن النّسق الثقافي المضمر، الذي يضطلع بدور مرجعي مسكوت عنه، وقد حملت شخصية (منصور) في تضاعيفها تسليمًا ومسكوتًا عنه، بأنّ الأنثى/ زوجته ليست لها كبير شأن على الرّغم من المشقات التي كابدتها في أثناء الولادة، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ الضحك يضمر عادةً فكرة، وضحك "علي" هنا، يحمل وجع الشخصية وعذاباتها، كما يجسّد وجع الغربة وقسوتها، وعلى هذا الأساس تتنزل الغربة لدى علي ضمن دائرة اللعنة. ومن هنا، نستطيع بالتأكيد أن ندرك الأثر النفسيّ الدّاخلي، الذي تركه موت ابنه، ولا شكّ أنّ موت أوّل أبنائه ترك في نفس (عليّ) أثرًا رهيبًا، خاصّة أنّه في بلاد الغربة.

وفي مشهد أخر، نستطيع استكناه بعدٍ نفسي آخر لـ (علي) شبيه بالذي سبقه، لكنّه أكثر إيلامًا، إذ يتضح هذا البعد في الحوار الذي أجراه (عماد) معه، وهو يواسيه في مصيبته، وقبل أن ينهي حواره، قال (علي) موجّهًا كلامه لـ (عماد): "على كلّ حال أنت أعزب، ولا يهمّك أين تنام، ولا أين ستترك زوجتك، المشكلة مشكلتنا نحن المتزوجين" **(الرواية، ص 65)**.

وعليه نستنتج، أنّ تصعيد حدّة التوتر والقلق وتناميه عند (علي) سببه تشرده، وعدم وجود مأوى لزوجته في بلاد الغربة. وتُمثل شخصيّة (معيط) مدير المدرسة في الرّواية، شخصيّة يمكن وصفها بالجشعة، والطّمّاعة، والاستغلالية، من خلال سلوكه الواضح والبيّن تجاه (بعرة)، صاحبة المقهى، التي أصبحت من أغنياء بلحارث، إذ إنّه حاول الزّواج من ابنتها الوحيدة (دخنة)؛ كي يستولي على إرثها، كما أنّ صورته ترتسم على أديم الرّواية برجلٍ شبقي، يضطرم الشهوة في جسده وأحشائه اضطرامًا، ويتضح ذلك من خلال ردّة فعل (بعرة)، التي رفضت محاولته في الزواج من ابنتها، قائلة له بشيء من التوبيخ والتقريع: "يا مرجوج، ما شبعت من النّساء، أربعة طلقتهن والخامسة عندك وتريد بنتي، تبغي أن تكملها على نص الدرزن، فشرت عينك، وعين المدرسة اللي إنت مديرها" **(الرواية**، ص 74)، وتنضاف

إلى ذلك، شخصيّة (بوعايظ)، وقد "تزوّج من أربع نساء، واحدة ماتت بالحمّى، والثانية خطفها (معيط) مدير المدرسة بعد فترة قصيرة من زواجهما، ثمّ تزوّجها" **(الرواية، ص 76)**.

وإذا استطعنا تفسير ذلك، نقول إنّ رواسب الثقافة بما هي عليها ضاربة بجذورها في الوجدان الشّعبي على إثرها تغدو شخصيّة (معيط وبوعايظ) في الرّواية رمزًا للذّكورة الشّرقيّة الهمجيّة، المزدهيّة ببداوتها وشبقيتها، وبغير أنْ نغوص في ضرب عديد من الشواهد للتدليل على صدق ذلك، أكتفي بأن أشير أنّه عندما جاء المفتش إلى المدرسة اقترح على إدارة المدرسة تغيير البئر؛ لأنّه يشكّل خطورة على حياة التلاميذ، وما إن تأكّد (بوعايظ) من انشغال المدرسين ومدير المدرسة بالحديث مع المفتش حتى همس في أذني (عماد):

- **هذا المفتش يبغي قطع رزقنا**
- **كيف؟**
- **إذا راحت البئر كيف نشوف النسوان الجميلات؟ (الرواية، ص 135)**.

ومن خلال تتبع حركة شخصيّة (معيط)، تبين لنا أنّها شخصية، إضافة إلى تلك الصفات المذكورة . شخصية حاقدة، ويتربص بـ (بوعايظ)، ويريد الإيقاع به، بعد أن فشل مشروع زواجه من (دخنة) بنت (بعرة)، ويجزم أنّ (بوعايظ) هو الذي أفسد مشروع زواجه **(الرواية، ص 77)**.

وأمّا شخصيّة (منصور)، فتظهر في الرّواية على أنّها شخصية غريبة، ومتناقضة، وغير متصالحة مع نفسها، وهو ما دعا (عمادًا) إلى أن يتساءل في كثير من الأجيان عن سرّ العلاقة بين (منصور) المتعلّم و(بوعايظ) فرّاش المدرسة، فهي علاقة أقل ما يقال عنها إنّها غير متكافئة ومشكوكة في أمرها. وزوجة (بوعايظ) تتضح من خلال وصف (منصور) لشخصيتها أنّها خائنة، وناكرة، للعشرة، ومتواطئة مع (معيط)، على عكس اسمها، الذي دلّ على أنّها شريفة، إذ يقول (منصور) لـ (علي) مدافعًا عن (بوعايظ)، ومحاولة تبرئته من تهمة فقدان الرّجولة، والتي تجلت في اختطاف (معيط) لزوجته: "إنّ زوجة (بوعايظ) لم تكن راضية عن أوضاعه المادية ووظيفته، مما دعاها إلى الموافقة على عرض معيط" **(الرواية، ص 114)**، كون (معيط) يملك "مائة وسبعين رأسًا من الغنم وستين بقرة وثورًا وله أراضٍ كثيرة عند أطراف بلحارث" **(الرواية، 113)**.

البعد الأيديولوجـــيّ.

يتضح هذا البعد، في استنباط (عماد) شخصيّة أمّه، كونه على تماس معها؛ إذ يقول: "أمّي ليست بسيطة، فعلى الرغم من أميتها، إلاّ أنّها تزن الأمور بمقياس مادي صرف، لكنّها في المطار تغيرت، واحتضنت نادية بحرارة" **(الرواية، ص 15)**، ومن هذا نستنتج، أنّ (أمّ عماد) شخصية متزنة في أفكارها وعواطفها ومشاعرها، كما يظهر هذا البعد في شخصية الشيخ الهامشية، عندما سمع من المذياع بتوقيع اتفاقية سيناء؛ إذ يقول الرّاوي: "بصق الشيخ على الأرض، ثمّ هزّ رأسه" **(الرواية، ص 20)**.

نستنتج، أنّ شخصية (الشيخ) تعكس رفضه، من حيث كون البُصاق هو بمنزلة رفض وتعبير لأشكال التخاذل والخيانة كلها، كما كشفت الشخصية عن مستوى وعيها العالي للراهن، وهي تعبّر عن حسّ وطني، بحيث نهضت شخصية (الشيخ) لتنوب عن الإنسان العربي في التّعبير عن الوجدان الجماعي. ومن غريب الأمر الذي يدهش له قارئ شخصية (منصور) المتعلمة، والحوار الذي أجراه (عماد) في السيارة معه في أثناء حديثه عن زوجة علي الذي

اصطحبها معه، وهما يجلسان عند السائق، وعلى الرّغم من تعليم (منصور) إلاّ أنّ رواسب الثقافة ما زالت ضاربة بجذورها في وعييه، لتعكس لنا الحالة الخاصّة للشخصية التي ظلّت مرتبطة بالأفكار الرّجعيّة، يقول:

- **معنا معلمة أنثى؟!**
- **إنّ المعلمة حامل في شهرها التاسع، وقد تلد في أية لحظة. عاود عماد السؤال:**
- **ولماذا تسافر؟ أجاب منصور بنفاذ صبر:**
- **لأنها معلمة وزوجها الأستاذ علي. ثم تنهد:**
- **ألا ترى أن العلم أصبح مصيبة للبنات؟**
- **وهل تعلم بأني صرت أتوجس من مستقبل شقيقتي نادية؟ إذ من الممكن أن يتزوجها وغد كعلي، ويأخذها معه لتعمل في هذه الصّحراء (الرواية، ص 27 . 28).**

إنّ السّؤالين المطروحين من (منصور)، يمثلان منطوقين أدائيين، يحيلان على نسق ثقافي مضمر، يتمثّل في تمسّك (منصور) بالموروث الثقافي، نزولاً عند التّعاليم السّائدة، والقواعد الذّائعة، والتّقاليد المألوفة، ومن ثم خضوعه المطلق لنواميس الثقافة المتخلفة، بحيث يؤكّد التعليم الذي أباحه المجتمع للرّجل، بينما يحرمه على المرأة، ولا مندوحة لنا في الاعتراف بأن هذا الفكر والمعتقد ليس من إنتاج (منصور)، بقدر ما هو موروث ثقافي استلهمه وانساق وراءه.

أنـــــواع الشّخصيّة.

مما يجدر ذكره، أنّ الرّواية تتسم بتنوّع الشّخصيات، وقد تباين واختلف النّقاد والدّارسون في تقسيم الشّخصيّة، ويمكننا نظريا تقسيمها وفقًا لما تقرر في الرّواية إلى ثلاثة أنواع، نجملها في الجدول الآتي:

الشخصية الرئيسة	الشخصية الثانوية	الشخصية الهامشية
منصور عماد علي	نادية والدة عماد بوعايظ معيظ ظفرة زوجة علي	سعيد ونهاد، موظف الفندق، وخادمه اليماني، ونزيل غرفة الفندق، ونادل مقهى الجوزين وروّاده، والرجل العجوز الذي يجلس يسار عماد في المقهى، كذلك الشيخ بو حريان وابنه، وشريفة، ومفتش المدرسة، والممرض الباكستاني وغيرهم.

الشخصية الرّئيسة.

هي الشخصيّة المحوريّة، التي تسلّط عليها الأضواء، و"التي تدور حولها أو بها الأحداث، وتظهر أكثر من الشّخصيات الأخرى" **(عبد القادر أبو شريفة، 2000، ص 135)**، علاوة على أنّها "الشّخصية الفنية التي يصطفيها القاص، لتمثّل ما أراد تصويره، أو ما أراد التعبير عنه من أفكار وأحاسيس" **(شرييط أحمد شرييط، 2009، ص 45)**، التي تظهر في أكثر من موقع، وغالبًا ما تتجسّد بشخصية البطل، وخير مثال على ذلك من رواية الطريق إلى بلحارث شخصية (منصور)، الذي اتسم موته بالخيبة والمأساوية الفاجعة إلى حدّ الإيلام؛ بسبب إصابته بالحمى الشّوكية القاتلة،

وما إن ندرك شخصية (منصور) في حركتها في الرّواية من البداية إلى النهاية، حتى تظهر غير مبالية وعبثية واضحة، كما تظهر شبقية مثيرة تبلغ حدّ السّادية، يقول مخاطبًا (عمادًا)، ليغيّر من جوّ الكآبة الذي هيمن عليه خلال الطريق إلى القنفذة:

- **"في القنفذة، سترى جسدًا بلوريًا، امرأة أشهى من الشهوة ذاتها، هل سمعت بظفرة؟**
- **كلا، طبعًا.**
- **تستر نصفها الأسفل بالوزرة، أما ثدياها، فيبدوان واضحين تحت قطعة الشاش الأسود المتهدلة فوقها بإهمال، اسمها ظفرة، هل سمعت بها؟**
- **بالتأكيد لا.**
- أنت لا تعلم في الدنيا شيئا، هل تعلم بأنني أشتهيها، رغم أنها سوداء فاحمة البشرة" **(الرواية، ص 43 . 44)**.

كما أنّ (منصورًا) شخصية عبثية، ولا مبالية، وغير عابئ بشيء، ضاربًا عرض الحائط تقاليد المجتمع، وضوابطه الأخلاقيّة، وهذا ظاهر في سلوكه، ولمّا سأله (عماد) عمّا إذا كان ينوي شراء سيارة فوجئ بمجموعة مشاريع مختزنة في رأسه؛ إذ قال: إنه "سيقضي إجازته في بيروت، وسينتقي أجمل الفتيات فيها، يبطحها على السرير، ويفرغ فيها سموم العام الدّراسي كله" **(الرواية، ص 100)**، وعندما أخبره عماد بأنّ الحرب ما زالت في بيروت، وأنّ الذّهاب إليها مجازفة، ردّ عليه قائلاً غير مبال بالحرج الأخلاقي: "كلّ الحياة مجازفة، وأجمل ما في الكون امرأة ناهد الصدر، ممتلئة الأفخاذ، تنام تحتي، أسحق عظامها، أصهرها بين يدي، أسمع صراخها وأنينها" **(الرواية، ص 100)**.

وقد وصل بـ (منصور) الأمر إلى صناعة الخمر مع (بوعايظ) وشربه جهارًا نهارًا، غير مبالٍ بتقاليد المجتمع وأعرافه، وقد أخبر (عماد) بأنّه "يشرب لأسباب لا يعرفها" **(الرواية، ص 101)**، كما أنّه يحرّض (عمادًا) على أن يشاركه الشرب، قائلا: "اشرب، فهذه الزجاجة أجمل ما في الوجود" **(الرواية،** ص 102). وعلاوة على ذلك توحي شخصيته بأنّه بالفعل غريب الأطوار، وحسبنا أن نشير إلى أنّه لم يكترث عندما عرف بمراسلة شقيقته نادية لعماد ولم يبالِ في ذلك، مما دعا (عمادًا) إلى أن يتساءل بينه وبين نفسه، قائلا: "ما هذا الخليط من الرّجولة، واللامبالاة، والقسوة، والشهوة" **(الرواية،** ص 107)، وما إن أذاع (عماد) حبّه لـ (نادية)، حتى قال (علي) له ساخرًا: "ما الذي أعجبها فيك، نحولك، أم عبوسك، أم اصفرار وجهك" **(الرواية،** ص 108)، وعليه نستنتج، أنّ شخصية (منصور)، بوصفه بطلاً في الرّواية عكست وعيًا ضديًّا بالعالم، قادرًا في الوقت نفسه على رؤية المتناقضات في كل شيء من حوله.

الشخصية الثانويّــة.

وهي الشّخصيّة التي لا تظهر بوضوح لأوّل وهلة، وإنّما تتضح وتتكشف مع سير الأحداث وتطورها **(عبد الرزاق حسين، 1998، ص 81)**، كما أنّها تقوم بإضاءة الجوانب الخفية والمجهولة للشّخصية الرئيسية (عبد القادر أبو شريفة، مرجع سابق، ص 135)، وقد تكون صديقة ومقرّبة من الشّخصية الرئيسة كشخصية مراسل وفرّاش المدرسة (بوعايظ)، فقد اتّسمت علاقة (منصور) بـ (بوعايظ) بالعلاقة الحميمة، وعلى هذا الأساس، تأتي شخصية (بوعايظ) أكثر تداولاً في الرّواية من غيرها من الشخصيات الثانويّة، إذ إنّ (بوعايظ) "حريص على إرضاء (منصور)، فهو صديقه، ورفيق كأسه وأعشابه" **(الرواية،** ص 145)، لهذا يمثل (بوعايظ) الشخصيّة الوفية في الرّواية، كونه وعد (منصورًا) بإحضار (ظفرة)، ليقضي معها أمتع الأوقات، وبالفعل أحضرها، لكن موته بالحمّى الشوكية حال دون ذلك،

وعندما مات (منصور)، وضع (بوعايظ) صدره، وصار ينتحب "كالطفل، يمطّ صوته المبلل بالدّموع الحارة، يتشبث بصدره، يحتضنه بكلتا يديه، ثمّ يعاود النواح"(**الرواية، ص 155**)، ومن الشّخصيات الثانويّة (والدة عماد)؛ إذ يقول (عماد): "والدتي تتدخل في كلّ شيء، ربّما كان السّبب هو توليها إعالتنا بعد وفاة والدي، وربما ورثت هذه الصّفة عنه، فقد كان صلبًا صارمًا" (**الرواية، ص 13**)، إضافة إلى ذلك إنّ طلبها قاطع كحدّ السّيف حسبما وصف (عماد)، وشخصية المدير (معيط)؛ إذ نلاحظ أنّها شخصيّة متسلطة، وسيئة الطباع، والأخلاق، والمزاج، تنتمي للشخصية المركزيّة، والمهيمنة، والقوية، وقد استحوذ زوجة (بوعايظ) غصبًا عنه، و(طفرة) يتمثلها (منصور) عبر صيغ جنسيّة، ولا يكتمل حلمه بالاحتفاء بجسدها؛ إذ إنّ موته حال دون أن يحقق هدفه المنشود، كما أنّ (ظفرة) لا تلتفت إلى تقاليد القنفذة، وهي دائمة الفرح؛ إذ إنّ "تقاطيع وجهها تفصح عن فرح مثبت كالوشم"(**الرواية، ص 45**)، وهي في الثلاثينيات، ومطلقة، وقد جاءت مع أهلها من بلاد اليمن.

الشخصيّة الهامشيّة.

وهي الشّخصيّة التي تعيش على الهامش في الرّواية، وتسير في اتّجاه واحد طوال أحداث الرّواية، من دون أن تنمو وتتطور، إذ تظهر في بعض المشاهد، ثم تغيب في بقية المشاهد، ولعلّنا لا نبعد عن الصّواب إذا قلنا إنّها الشّخصيّة النّمطية، غير افاعلة في العمل الرّوائي، وهي عديمة الفائدة والأهمية، هذا عدا أنّها قليلة الظهور وسرعان ما تتلاشى، وما إن تظهر حتى تختفي، ولا يعيرها الرّاوي اهتمامًا؛ إذ إنّ وجودها في الرواية هو فقط من باب إتمام أجزاء المشهد السّردي، وتتمثل هذه الشّخصية بـ (شقيقي عماد): سعيد، ونهاد، وموظف الفندق، وخادمه اليماني، ونزيل غرفة الفندق، ونادل مقهى الجوزين، وروّاده، والرجل العجوز الذي يجلس يسار (عماد) في المقهى، وقد "وضع غترته على أنفه؛ هربًا من الغبار والروائح الكريهة إلى جانبه شيخ وديع، يداعب قرص المذياع" (**الرواية، ص 22**).

ومن الشّخصيّات الهامشية، (تلاميذ المدرسة)، ورجال قرية بلحارث وأطفالها الراقصون والراقصات، وأبو حليم البقال، وشقيق أم عماد الدّهان، الذي يراهن على أنّ (عمادًا) ساقط، لا نفع منه، ولا فائدة، وقد رآه ذات مرة يدخن في سوق المخيم، وحينها وصفه بالداخون؛ إذ يقول (عماد): "زوج خالي يكرهني منذ الصغر، لأنّي كنت أغلب ابنه الذي يكبرني بثلاثة أعوام على الرغم من ضآلة جسمي، وما زال يكرهني، لأني لم أوافق على تلميحاته التي أبداها أمامي بعد أن تخرجت من المعهد، حين أراد جذبي لخطبة ابنته السمينة" (**الرواية**، ص 42)، من هنا كشفت الشخصية عن علاقة الخال بابن أخته الّتي أسفرت على شكل مصلحة، والذي سينتفع منه في المستقبل فيما لو تزوّج (عماد) ابنته. ومن خلال تتبعنا لاحظنا أنّ الشخصيات المذكورة لا تكاد تذكر في الرواية، ليس لها ملامح غير أسمائها ووظائفها المحددة، ولعلّ هذا يعود إلى عدم أهميتها، وإقرار الرّاوي بانتفاء جدواها في الرواية، ولأنّ وجود هذا الشّخصيات لا تعدو كونها مجرد حمولة زائدة على مضمون الرواية، وينسحب الأمر على الركاب السبعة، والسائق الذي سيوصلهم من جدة إلى القنفذة، الذي تبرّم كثيرًا من زوجة علي التي تئن وجعًا وألمًا من الحمل، وإذ يظن أنّها سبب تأخير الركاب. وعند هذه الشخصية يجب التأكيد على أنّ شخصيات الرّكاب، عدا (عماد) و(منصور) و(علي) و(زوجته) يظهر أنّهم خليجيون، ويتبدّى ذلك من خلال لهجتهم التي تُوحي بأنّهم سعوديون، فلمّا توقف (منصور) عن الكلام انفلتت صرخة مترنحة من سمّاعة السّيارة، وقد أعقبتها صرخة طويلة، مما أدى إلى أنّ (عمادًا) يجفل ويصرخ بصوت مرتفع، قائلا: ما هذا؟ قال أحد الركاب: "ليش خرعت يا أستاذ، ما تعرف القحم؟ (**الرواية**، ص 32). يلاحظ القارئ أنّ الرّاكب يحدد بوضوح شخصيته، المتمثلة بلفظة "خرعت"، فقد جاءت بوصفها علامة دامغة ومعبّرة عن البيئة التي ينتمي إليها؛ أي بداوته،

كما تظهر هذه اللهجة البدوية أكثر وضوحًا عندما توقفت السيارة، وقد دار الحديث بين علي وأحد الركاب قائلاً ومشككًا: "أنا أقول الشوفير ضيّع الطريق". قال آخر بينما جال ببصره في الأفق البعيد الملتحم بالرمال: "لا يا رجّال لكن النجم اختفى"(**الرواية**، ص 49)، والأمر ذاته نلتمسه دون شكّ في النّفي القاطع في لهجة السائق، التي توحي بأنه خليجي، وذلك ظاهر في قوله للركاب، مستاءً من تصرفاتهم: "يللا انزلوا بسرعة، نبغي نضع المعلمة في الصندوق، لأنها تبغي تولد" (**الرواية، ص 39**).

إنّ لفظة "نبغي" جاءت في النّص؛ لتؤكد ذلك، وشأنها في ذلك شأن "خرعت"؛ إذ إنّ المتأمّل في دوران هذه اللفظة في البلاد العربية، يلاحظ بلا ريب أنّ هذه اللفظة لا تدور إلا في المناطق البدوية، خاصة الخليجية.

ومن الشخصيات الهامشية الطارئة، (الشيخ الملتحي)، ذو اللحية البيضاء، الذي رافق عليًا إلى المقبرة؛ لدفن ابنه فجر، الذي مات في أقل من يوم "بعد أن سافر آلاف الأميال في بطن أمّه" (**الرواية**، ص 58)، وينسحب هذا النّوع من الشخصية على (ساعي البريد)، الّذي يمر من قرية بلحارث كل أسبوع و"يأتي بالرسائل الواردة لأهالي القرية والمدرسين ويضعها في قرية بعرة" (**الرواية**، ص 70)، وقرية بعرة نسبة إلى اسم (بعرة) صاحبة المقهى، وهي شخصيّة هامشية، تظهر مرّة واحد في الرّواية، بالإضافة إلى تلك الشخصيات الهامشية هناك (شريفة) زوجة بوعايظ وأطفاله، فلم يظهروا في الرواية، كذلك لا نعرف عنهم شيئا، سوى أنهم ذكروا كحمولة زائدة على الشخصيات الأخرى، والممرض الباكستاني يعدّونه طبيبًا "لأنه ذات مرة أفلح في سحب السّموم التي أفرغتها أفعى في خصية (بوعايظ) (**الرواية**، ص 131)، وقد ظهر هذا الممرض مرتين في الرّواية، المرّة الأولى أثناء مرض (عماد)، والثانية عندم موت (منصور)، كما يظهر المفتش في الرواية على أنّه شخصية طارئة، إذ إنّ ظهوره يتمثل في مشهد واحد، وذلك من خلال "زيارته اليتيمة للمدرسة مرة في العام" (**الرواية**، ص 135)، وعلى الرّغم من أنّ شخصية (الشيخ بوحربان) هامشية، نظرًا لقلة ورودها في الرّواية إلاّ أنّها تتسم بشخصية تنبئ عن هيمنة وبطش وقوة وسلطة، ومما يدلل على ذلك أنّه عندما جاءت (ظفرة)؛ لتحيي عرس ابنه، سحب مسدسه من حزامه، ثم أطلق تسع طلقات متتالية (**الرواية**، ص 148)، ومن خلال سلوك (بوحربان) هذا، يمكننا التنبؤ بسماته الذي يوحي بأنّه شخص ذو بطش، علاوة على أنّ (الشيخ بوحربان) "يعرفه كلّ الناس، كان يجلد كلّ من يخطئ من أهالي القرى" (**الرواية، ص 143**).

وغاية القول وخلاصته، أنّ العلاقة بين الشّخصية الرئيسية، والثانوية وبين الشخصيات الهامشية في رواية الطريق إلى بلحارث، هي علاقات أشبه ما تكون بالعابرة والطارئة، وفي أغلبها تفتقد الاتصال، والتفاعل الحميم في الرواية.

الاستنتاجات والتوصيات

في الختام، يمكن أن نشير إلى الخلاصة التي توصل إليه البحث إلى عدد من النّتائج، وهي:

1- إنّ الشّخصية هي الرّكيزة الأساسيّة في أي عمل سردي لا سيما الرواية؛ كونها تمثّل عنصرًا فاعلا في إنجاز الحدث.

2- تعدّ الشخصية تقنية فنية، ووسيلة الرّاوي والسّارد، يتجسد من خلالها الرؤية.

3- كشفت الشخصية في رواية الطريق إلى بلحارث عن انتمائها الفكري والأيدولوجي والثقافي.

4- تعددت وتنوّعت مرجعيات شخصيات رواية الطريق بلحارث، المتمثلة بالطباع، والرغبات، والمستويات، منها الفقيرة، والغنية، والهامشية، والمركزية، والمتعلمة، والجاهلة، والسادة، والعبيد.

5- جمال ناجي في رواية "**الطريق إلى بلحارث**"، نجده يتخذ طريقتين، في وصف شخصيات روايته: الطريقة المباشرة والتحليلية، وهي الطريقة التي تعتمد على الوصف الخارجي للشخصية، والطّريقة الثانية هي الطريقة غير مباشرة، وهي الطريقة التي تعبّر الشخصيّة عن نفسها، بطريقة غير مباشرة، دون تحليل.

المصادر والمراجع.

أبو شريفة، عبد القادر (2000): مدخل إلى تحليل النّص الأدبي، ط3، دار الفكر، عمّان.

الحافظ، نوري (1961): تكوين الشخصية، مطبعة المعارف، بغداد.

بنكراد، سعيد (1994): البناء الثقافي، سلسلة دراسات وأبحاث، داشميل للطباعة والنشر، ط1، مراكش.

بوعزة، محمد (2010): تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر.

ثابت، طارق (1990): مقاربات سيميائيّة لشخصية المدينة، ط1، دار الكتاب، بيروت.

إبراهيم، خليل (2018): جريدة الدّستور الأردنية: قراءة نقديّة لرواية الطّريق إلى بلحارث، 15 حزيران.

حسن غانم، محمد (2006): دراسات في الشخصية والصحة النفسية، ج1، دار غريب، القاهرة.

حسين، عبد الرزاق (1998): فن النثر المتجدد، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة.

رياض، سعد (2005): الشخصية، أنواعها، وفنّ التعامل معها، ط1، مؤسسة اقرأ، القاهرة.

زبابجة، صبرينة: بنية الشّخصية في الروايةِ الجزائرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية.

سلامة، محمد علي (2007): الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية.

شرييط، أحمد (2009): تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ط، دار القصبة، الجزائر.

شعبان، ماهر (2011): التذوق الأدبي، ط3، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمّان.

صبيحة عودة زغرب (2005): غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، ط1، عمّان.

عبد الخالق، نادر أحمد (2009): الشخصية الروائية بين أحمد علي باكثير ونجيب الكيلاني، دراسة موضوعية فنية، ط1، دار العلم والإيمان.

فزاري، أمينة (2012): سيميائية الشّخصية في تغريبة بني هلالة، ط1، دار الكتاب الحديث للنشر، القاهرة.

مجلة المنتدى، ع1، آب . 1983، دبي.

مجموعة باحثين: بناء الشخصية في رواية نجمة أغسطس لصنع الله إبراهيم، مجلة إضاءات نقدية (غير مؤرخة . مجلة موجودة على الشبكة العنكبوتية).

ناجي، جمال (2019): الطريق إلى بلحارث، وزارة الثقافة، عمّان.

هامون، فليب (1990): سميولوجية الشّخصيات الرّوائية، تر. سعيد بنكراد، مطبعة فضالة، المحمدية.